جامعة بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

النقد الأدبي عند ابن خلدون من خلال مقدمته

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين:

- رمول نورة
- يزيد صبرينة

إشراف الأستاذ:

أودحمان رياض

السنة الجامعية2019/2018

بسم الله الرحمان الرحيم

﴿أدع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلْهُمْ بالتي هي أَحْسَنْ﴾ الآية 125 من سورة النحل

الإهداء

–إلى صديقتي وزميلتي في هذا البحث صبرينة التي تحملت معي مشقة ومصاعب هذا العمل المتواضع، أتوجه لها بالشكر الخاص.

– إلى من أنارت مشوار حياتي، إلى من أفنت شبابها لإسعادي، إلى الحبيبة والغالية أمي أطال الله في عمرها.

– إلى أبي الغالي الذي سهر وعمل بكل جهد لكي لا ينقصني شيئا في حياتي أطال الله في عمره.

– إلى من لا أستطيع الاستغناء عنهم، إلى من يرسم الابتسامة في وجهي إليكم أخواتي وإخواني.

– إلى كل من عرفتهم في مشواري الدراسي، إليكم صديقاتي في الدراسة.

– إلى خطيبي الغالي الذي دعمني ووقف معي خلال مدة بحثي وخفف عني التوتر والقلق.

– إلى كل من عرفته من قريب أو من بعيد وتعذر عليا ذكره.

– إلى كل هؤلاء لكم من ثمرة جهدي وعصارة فكري.

نورة

الإهداء

إلى من سهرت على تربيتي ،إلى القلب الذي ينبض بالرحمة و الحنان ،إلى الحياة الروح إلى من وفقني الله بدعائها إلى أمي الحبيبة أطال الله في عمرها ،إلى العزيز و الغالي أبي أطال الله في عمره . إلى من لا أستطيع الإستغناء عنهم إلى من يرسم الإبتسامة في وجهي دائما إخوتي حكيمة ،ساعد ،سليمة ،نجيم ،سعاد ،حنيفة وحنان .

إلى الصديقة الغالية و نعم الصحبة أوبراهم كاتية ،إلى زميلتي رامول نورة التي شاركتني هذا المجهود المتواضع و دعمتني بالعطاء و الصبر و الشجاعة .وفقها الله في حياتها.

إلى كل من عرفتهم في مشواري الدراسي و كل عائلتي من جهة الوالد و جهة الوالدة إلى كل من سقط في ذاكرتي سهوا ،إلى كل هؤلاء ،لكم مني ثمرة جهدي و عصارة فكري .

صبرينة

مقدمة

لقد ولد النقد مع ولادة الفن– فهما توأمان – نشأ مع ظهور الإنسان على هذه الأرض، تطورا معا إلى أن وصل إلى ما وصل إليه الآن من تعقيد و تقعيد.

العرب لم يكونوا استثناء، بل هم يعدون أقرب النّماذج لهذا التّطور من السّذاجة إلى التّفكير والتّعليل، فهم إلى بداية القرن 7 ميلادي لم يكونوا– في معظمهم أو سوادهم الأعظم– إلا قبائل متقاتلة و متناثرة، بل فخرهم هو الاعتزاز بالشّعر الذي هو ديوانهم و مع سذاجتهم واكب هذا الفن آراء نقدية هنا وهناك لا تقل سذاجة عن حياتهم اليومية.

مع انتشار و توسع الفتوحات شرقا وغربا، خرج الأدب العربي من قوقعته الصّحراوية إلى سائر العالم ، أصبحت العربية لغة العلم و الأدب بعد أن كانت شفوية قبلية.

هذا التّحول أدى إلى تدوين الشّعر و ظهور مؤلفات نقدية صاحبت هذا المنعرج الحضاري ،كان هذا التّحول يتسم بالتّراكم و التّثاقف بين النّقاد، فكلّ منهم يضع لبنته الخاصة به إلى أن دار الزمان و أصبحت الحضارة الإسلامية في طريق الأفول أو ما يسمى بعصر الضعف.

عصر الضعف كما يسمى ظهرت فيه عدة مؤلفات لعباقرة في شتى المجالات، حاولت أن تستوعب مجهودات السّابقين و أن تأتي بالجديد و منها النّقد.

هذه الرغبة في معرفة طبيعة التّفكير النّقدي عند المتأخرين دافعنا لمحاولة استجلاء مظاهر التّجديد و التّقليد ،و لعل من أبرز العلماء الموسوعيين الذين حاولوا استيعاب تراث الأوائل و الإتيان بالجديد هو ابن خلدون صاحب المقدمة التي حوت علوماً كثيرة من الأدب و اللّغة و النّقد، هذه الزّبدة العلمية تمثل نجمًا فكريًا لمعرفة طبيعة التّفكير عند ابن خلدون في ثلاثية النّقد و الأدب و اللّغة، و بعد قراءتنا لمقدمته، مرت علينا عدة تساؤلات حاولنا فيها الرّد و الإجابة.

-كيف نظر إبن خلدون إلى التّراث النّقدي الذي سبقه؟

-هل له آراء جديدة في النّقد أو جل أفكاره هو تكرار لآراء سابقيه؟

-ما السّر في ربطه بين اللّغة و الأدب و النّقد؟

و للإجابة على هذه الإشكاليات و التّساؤلات، اخترنا لموضوعنا هذا عنوانا هو: النقد الأدبي عند ابن خلدون من خلال مقدمته.

وضعنا لبحثنا هذا خطة قسمنا فيها البحث إلى فصلين ،ففي الفصل الأول أوردنا فيه النقد قبل إبن خلدون و تحدثنا فيه عن الآراء النقدية في عصر ما قبل التدوين ثم الآراء النقدية في عصر التدوين فعرفنا فيه الشعر و النثر و القضايا المتعلقة باللفظ و المعنى و الطبعة و الصنعة.

أما في الفصل الثاني فتطرقنا إلى النقد عند إبن خلدون فعرفنا فيه الأدب ثم تعريفه للشعر و النثر و تحدثنا أيضا عن الملكة و الذوق و البلاغة و علاقة البلاغة بالإعراب ثم في الأخير أثر ،الذوق على أحكامه النقدية . و لقد نالت مقدمة ابن خلدون اهتماما واسعًا من قبل الباحثين شرقًا و غربًا ، و لكن لم نعثر على كتاب تفرد بالدّراسة للنّقد الأدبي عند ابن خلدون، بل ما استطعنا الوصول إليه هو بعض الإشارات هنا و هناك في الكتب النّقدية الحديثة و هي العوائق التي حاولنا قدر الإمكان تجاوزها و قد كان معظم اعتمادنا على المصدر نفسه و هو مقدمة ابن خلدون إضافة إلى مراجع أخرى،إضافة إلى هذه العوائق المكتبية هناك عائق الزمان الذي لم يسمح لنا بالإحاطة بهذا الموضوع المهم من كل جوانبه.

و في الأخير نتوجه بالشكر الخاص لكل من دعمنا من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا البحث. بدءًا بالأستاذ المشرف على هذا العمل الأستاذ الفاضل **أودحمان رياض** الذي كان له الفضل بعد الله سبحانه و تعالى في توجيهنا، و إرشادنا طوال مدة إنجازنا لهذا العمل

و كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذين المناقشين لموافقتهما تحمل قراءة هذا العمل و تصويبه.

الفصل الأول :

"التفكير النقدي قبل إبن خلدون"

I. الآراء النقدية في عصر ما قبل التدوين:

كان المجتمع العربي الجاهلي مجتمعا قبليا، لذلك كان لكل قبيلة شاعر ينطق باسمها، وكانت تقام الأفراح والأعراس عند نبوغ شاعر في أي قبيلة، وكانت مهمته تدوين أحوال المجتمع الذي يعيش فيه من الناحية الاجتماعية والسياسية، وعاداتهم وتقاليدهم، وتاريخهم، وملامح بيئتهم، وكان مما يتميز به العرب في جاهليتهم الأميّة المتفشيّة بينهم فكان هذا سببا في انتشار الرواة الذين حافظوا على الشعر الجاهلي وتوارثوه شفويا، وقد ساعدت طبيعة الشعر العربي على سهولة حفظه وتحفيظه.

أولا: العرب في العصر الجاهلي:

تعد شبه الجزيرة العربية موطن العرب في جاهليتهم. " وشبه الجزيرة في الحقيقة هو البقعة الممتدة بين البحر الأحمر غربًا، والمحيط الهندي جنوبا، وخليج العرب شرقا، والعراق وبلاد الشام شمالا على مساحة نحو ثلاثة ملايين كيلومتر مربع".[1]

1-أصل العرب

العرب من الشعوب السامية التي استوطنت جزيرة العرب وآسيا الصغرى إلى الفرات، كان لهم صلة الأصل بالعبرانيين والفينيقيين، والآراميين والسريان والبابليين والأشوريين،

[1] -حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، مج1، ط2، دار الجيل بيروت، 1991، ص33.

وكلهم من أرومة واحدة جانست ما بين لغاتهم، وقربت ما بين تكوينهم الفيزيولوجي والنفسي، والعرب ذو تاريخ عريق ابتدأ حوالي القرن الأربعين قبل الميلاد، وكانوا في نظر عدد كبير من العلماء مصدر موجات كثيرة اندفقت على الأقاليم المجاورة.[1]

يؤكد حنا الفاخوري على عراقة شعب الجزيرة العربية وأصالة حضارتها التي ميزتها على سائر شعوب المنطقة وقد صقلت الطبيعة الصحراوية معظم الحضارة العربية قبل الإسلام، إذا ما استثنينا اليمن التي تشكل استثناءًا بسبب طبيعتها الجغرافية والمناخية، إذن من الضروري أن نذكر أن اللغة العربية هي العروةالوثقى التي ربطت العرب في معظمهم ما عدا خصوصية أهل اليمن اللغوية.

2- أقسام العرب: [2]

أ- البدو:

يطلق على البدو أهل الوبر، فالبدو نسبة إلى البادية وهي الصحراء، وأما الوبر فهو شعر الجمال الذي كانوا يصنعون منه خيامهم، وأما البدو فهم الأعراب الموزعين فيما بين المحيط الأطلنطي وخليج العرب، وهم في طبعهم متنقلون، كان الترحال ميزتهم.

[1]- ينظر،حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، مج1، ص33.

[2] ينظر،المرجع نفسه، ص 38-39.

ب –الحضر:

الحضر هم السكان القاطنون بالأرض ولا يغادرونها إلا في الحالات الطارئة، وهذا يتفق وتقسيم العرب إلى عروق ثلاثة: العرق الذي باء وعفا أثره قبل الإسلام، والعرق المؤلف من أبناء قحطان الذين استقروابلاد اليمن هم أقحاح العرب، والعرق المؤلف من ذرية اسماعيل.

- **العرب البائدة:**

أصل تسمية بائدة من الفعل: باد أي فني وانتهى. فني أو باد أولاد سام بن نوح بعدما نشؤوا قبائل وبطون في بلاد شبه الجزيرة العربية، وهي سبع قبائل: عاد، ثمود، صحار، جاسم، وبار، طمس و جديس.

- **العرب العاربة:**

قيل أن العرب سميت عربا نسبة إلى يعرب بن قحطان الذي تولى الملك بعد أبيه وكان أول من ابتدأ بعمارة المدن في اليمن، ومن نسله حمير، وكهلان فالعرب العاربة هم عرب اليمن ويعرفون بعرب الجنوب.

- **العرب المستعربة:**

وهم عرب الشمال من نسل عدنان، وهم الحجازيون و النجديون، والأنباط، وأهل التدمر، و من قبائلهم: نزار، و ربيعة، و مضر، وبكر، و تغلب، و ذبيان، و قريش، ويقال لهم العدنانيون والنزاريون.

3-العامل الجغرافي: [1]

كانت الجزيرة العربية عبارة عن صحراء مترامية الأطراف وكل شيء فيها قاس وعنيف فقد كانت حياتهم رهينة بسقوط الغيث لذلك مال الشعراء إلى وصف السحاب والبرق والسيل، فانعدامه يعني الترحال والبحث المستمر عن أسباب العيش،هذا ما أدىإلى وجود الغزو وانتشاره ،كما بث في نفوس أصحابها حب القوة والميل على كل عظيم جبار، والشجاعة والجرأة والكبرياء العنيدة، وهي صفات طالما تغنى بها الشعراء في شعرهم وكانت هذه البيئة تؤمن بضرورة الثأر للمقتول، فالدم لا يغسله إلا الدم، فتعددت لذلك حروبهم وأيامهم التي خلدها الشعراء في ثنايا قصائدهم ،كما ولعوا بوصف الخيل والإبل، وآلات الحرب ،ومن أشهر أيام العرب يوم ذي قار بين العرب و الفرس، وحرب البسوس بين بكر وتغلب وحرب داحس والغبراء بين عبس و ذبيان، وأيام قيس وتميم.

[1] ينظر، حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخ، مج 1، ص 56- 59.

4-الأسواق:

لعبت الأسواق التجارية دورا كبيرا في تطوير الحياة التجارية والأدبية على حد سواء في شبه الجزيرة العربية، فقد كانت منطقة تجمع، و التقاء القوافل التجارية في شتى القبائل، ومن الأسواق التي ذاع صيتها في العصر الجاهلي سوق عكاظ التي كانت تقام في نجد بقرب من عرفات من منتصف ذي القعدة إلى نهايته، و منها أيضا سوق ذي المجاز بالقرب من عكاظ، و كانت تستمر إلى نهاية الحج، و كان أشراف العرب يفيدون إليها لمفاداة أسراهم، والتحاكم في خصوماتهم، و للمفاخرة بالاكتساب، و التباهي بصفات الفضائل،و من الكرم و الشجاعة و الفصاحة والجمال و الأشعار والخطب.[1]

كان لكل سوق من الأسواق وقت معلوم تعقد فيه، و كان أشهرها سوق عكاظ، فقد كانت الأسواق التجارية من بين القنوات الأساسية التي ساهمت بطريقة مباشرة في ازدهار الحياة الأدبية في العصر الجاهلي.

5- الصراع السياسي عند العرب في العصر الجاهلي:

أدى الصراع ببن المناذرة في الحيرة و الغساسنة في الشام إلى محاولة ضم أكبر عدد من القبائل إليها باللجوء إلى القوة العسكرية و استخدام الشعراء وتبادل الأعطيات لهم ليكونوا

[1] محمد هاشم عطية، الأدب العربي وتاريخه، ط1، دار الفكر العربي، مصر، 1998،ص 41، 42.

قلم إشهار و سيطرة، و يجب أن نشير أن هذا الصراع الذي نشب بين المناذرة و الغساسنة كان بالدرجة الأولى لأسباب تجارية ،أي الرغبة في السيطرة على طرق القوافل التجارية.[1]

6-منزلة القبيلة في العصر الجاهلي:[2]

عاش المجتمع العربي حياة قبلية، فحب الفرد لقبيلته وتفانيه في إخلاصه لها و العمل على رفع شأنها وإعلاء كلمتها وتعصبه لها وحدها كل هذا جعله تجاهل غيرها و لا يعترف بحق الحياة أو الملكية أو المتعة لأحد سواها، كأنما لم يخلق في الوجود غيره و غير قبيلته، فدفعه هذا الاعتقاد إلى الاعتداء على حقوق الآخرين تجاه قبيلته، كانت القبيلة بدورها تقف إلى جانبه فالجريرة التي يجنيها الفرد يتحملها المجموع و قد آمنوا بهذه الفكرة التضامنية في الخير و الشر حتى ظهرت في أمثالهم فقالوا " في الجريرة تشترك العشيرة" فالوحدة المقدسة في القبيلة هي العصبية و كان زعيم القبيلة وقائدها محل إجلال و وقار عند الفرد الجاهلي.

6-1الخلع والتشريد:

إذا لم يخضع الفرد لأحكام القبيلة وأساء إلى سمعتها وكثرت جرائره خلعته القبيلة وتبرأت منه ،ويتخذ هذا الخلع صورة إعلام رسمي يذاع على الناس في المواسم والأسواق

---

[1] ينظر: حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، مج 1، ص 60.

[2] ينظر :المرجع نفسه، ص 52- 56.

ليكون في ذلك إشهادا لهم عليهم وقد يبحثون مناديا بذلك وقد يكتبون به كتابا وبهذا تسقط حقوق الفرد على قبيلته، فلا تحتمل جريرة له و لا تطالب بجريرة يجرها أحد عليه.

6-2 وحدة الجنس وتميزه:

آمنت القبيلة العربية بوحدة دمها وجنسها فهي ترى أنها أحسن القبائل شأنا وعددا، و آبائهم أشرف الآباء وأمهاتهم أكرم الأمهات، وهم أجدر الناس وهذا ما أدى إلى ظهور غرض الفخر و المنافرات فيما بينهم، و قد انقسم المجتمع العربي في الجاهلية إلى ثلاث طبقات:

أ-أبناء القبيلة الشرفاء: الذين ينتمون إليها بالدم وهم عماد القبيلة وقوامها و عليهم واجب حمايتها والدفاع عنها والعصبية لها.

ب. الموالي:و هم أدني منزلة من أبناء القبيلة الشرفاء و هم الموالي بالجوارأو الحلف أي أفراد من قبائل أخرى تتعهدهم القبيلة بحمايتهم لكل منها الحق في أن يرث صاحبه إذا مات قبله ،إلى جانب الموالي هناك الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جناياهم والعبيد المعتوقون (الأحرار) فهم في حماية القبيلة لذا لا يجب أن ينسى العتيق فضل عاتقه و حسن صنعه.

ج. طائفة العبيد: و هم من أسرى الحروب أو من يجلب من الأمم الأخرى بالأحباش يقومون بالأعمال الشاقة المتعبة و هؤلاء أقل منزلة من الموالي و تجتمع هذه الطبقات الثلاث في الولاء للقبيلة والإخلاص لها.

كانت عادات و تقاليد القبيلة مما يعد الأسس الاجتماعية للمجتمع في الجاهلية قبل أن تأتي تقاليد الإسلام و تصبح هي المرجع الرئيسي لتقاليد المجتمع، ففي القبيلة قوانين تنظم كافة أمور الحياة، و لم يكن النظام القبلي نظاما موحدا على كل القبائل، لكن لكل قبيلة من القبائل في الجاهلية عاداتها وتقاليدها التي تعتز بها.

ثانيا: العصر الإسلامي:

عانى العرب في الجاهلية من حياة كلها جهل و تخلف، و ضعف و انحطاط، فقد كانوا يعبدون الأوثان التي يصنعونها بأيديهم، وقويهم يتعدى على ضعيفهم، كان الاحتقار و النهب و القتل طغى و استولى على طبقة العبيد و الضعفاء.

استمر الحال هكذا إلى أن جاء دين الإسلام الذي سوى وأعدل بين الناس ، وجاء لينير عقول الأمة و دربهم، فمنذ مجيء الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام برسالته الربانية و معجزة القرآن الكريم، صار يهدي الناس إلى الطريق القويم، و السبيل الناجح في الحياة الدنيا والآخرة.

كما نسب العصر الجاهلي إلى الحياة الجاهلية التي كان يعيشها العرب كذلك العصر الإسلامي نسب إلى الإسلام أي تلك الفترة التي حكم فيها الرسول عليه الصلاة و السلام.

1- اللغة العربية بعد نزول القرآن الكريم:

لم يكن أحد ليتصور مصير العربية قبل الإسلام،فقد كانت لغة قبائل صحرواية على هامش الحضارة حينذاك ،لم يكن أحد يدري أن القدر قد خبأ لهذه اللغة مصيرا قلّ نظيره إن لم نقل فريدا من نوعه،حيث أصبحت في فترة وجيزة لغة عالمية،و الفضل يعود للإسلام و القرآن الكريم، فقد" كانت اللغة العربية في الجاهلية ذات غنى و مرونة، ولكنها كانت ذات صيغة

بدوية و لهجات متعددة تغلبت عليها لهجة قريش، و لما ظهر القرآن سحر الألباب العربية، و أضفى على اللغة سيلا من حسن السبك وعذوبة السجع، و موسيقى الألفاظ، و أناقة التعبير، و قد عمل على توحيد اللغة العربية توحيدا كاملا، إذ كان المثال الأعلى في البلاغة، و الكتاب الديني الذي يسيطر على القلوب و الألسنة، و عمل على حفظ اللغة العربية من الانقراض و على انتشارها في شتى البلاد و الأصقاع ،حتى أصبحت لغة الدين و السياسة و الثقافة في إمبراطورية واسعة الأطراف، و ساعد على تهذيب الألفاظ و تليين الأساليب حتى حفلت الكتابة العربية بالعذوبة والسلاسة والسهولة والرقة، وأغنى المعجم العربي بألفاظ اكتسبت معان جديدة لم يكن له عهد بها من قبل، وكان دافعا لظهور كثير من علوم اللغة التي نشأت حوله لتفسير معانيه واظهار قيمته البلاغية".[1]

يريد الفاخوري أن يفسر في نصّه أن ارتباط اللغة العربية بالقرآن جعلها محفوظة بحفظه، و باقية ببقائه و سبحان الله القائل" **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونْ**" (الحجر -9-)،

بنزول القرآن على اللّسان العربي و دخول الناس في دين الإسلام أفواجا من شتى بقاع الارض ،اتجه المسلمون من غير العرب الى تعلم العربية رغبة في أداء العبادات

[1]-حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، ص 298.

والشعائر الدينية بها، وقراءة القرآن بالعربية، لأن قراءة القرآن الكريم تعبد الله تعالى، و بالتالي انتشرت اللغة العربية انتشارا ما كان ليتحقق بدون القرآن الكريم.

2-أثر الفتوح و الاختلاط:

و هناك عمل آخر ساعد على توسيع اللغة هو عامل الفتوح واختلاط العرب بغيرهم من الشعوب ، إن احتكاك العربية بغيرها من اللغات كان في صالحها إذ كانت لغة الدين و السيطرة السياسية و عان غيرها في خدمتها، يغنيها ويضيف إلى معجمها ما كانت بحاجة اليه لتتماشى المدنية و الثقافية، فعندما خرج العرب من شبه الجزيرة العربية واجهوا مدينتين عريقتين هما مدينة الفرس ومدينة الروم، ثم مع الفتوحات الإسلامية التي انتشرت و مع ازدياد اختلاط العرب بالشعوب الأخرى ازدهرت الحضارة الإسلامية، و أصبحت العربية اللغة الأولى عند الشعوب الإسلامية، إلا أنه نتيجة هذا الاختلاط دخل اللَحن إلى ألسنة العرب وبدأت الترجمة تأخذ حيزا، فضعفت العربية وبدأت الجهود تتكاثف لضبط اللغة.[1]

3-الشعر في العصر الإسلامي:

كان الشعر محور الثقافة العربية قبل مجيء الإسلام ،و لكن مع نزول الوحي و توالي السّور و الآيات و تحدي القرآن لبلغاء العرب على أن يأتوا بمثله ،واستحواذه على القلوب و الألباب، تأخرت مرتبة الشعر مقارنة بالنص القرآني الذي هو نص نثري، و هذا لا

[1] ينظر، حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، ص 298.

يعني إهمال الإسلام لقيمة الشعر والشعراء، و لكن أصبح الفن الشعري تحت ضوابط جديدة لم يعد كما قبل، إضافة إلى أنه أصبح لسان حال عقيدة جديدة تؤسس لأمة جديدة تتجاوز حدود القبيلة إلى عالمية لا يحدها جنس و لا لون. و مع اشتداد الصراع بين المسلمين الأوائل و المشركين أصبح الشعر ميدانًا آخر من هذا الصراع الذي لم يبق حبيس السنان والسيوف، فبرز شعراء مسلمون يذودون عن الإسلام والمسلمين، و من أبرزهم حسان بن ثابت الذي رد على شعراء قريش وأفحمهم ونقض هجاءهم، وقد كان هذا أول عهد لشعر النقائض.[1]

1.3. الشعر في عهد النبوة:

كان المهاجرون و الأنصار يعدون حسان بن ثابت شاعرا حاميا لأعراض المسلمين، فكان يبلغ من حاجتهم ما لا يبلغه عبد الله بن رواحة، و كعب بن مالك، و الكلام كثير في استماع النبي لحسان حتى لقب شاعر الرسول صلى الله عليه و سلم، و كان المسلمون يعتمدون على حسان بن ثابت لأنهم يرون الملكة الشعرية فيه أنضج، و معانيه من الأسلحة الماضية التي تجزع منها قريش.

[1]– ينظر طه أحمد ابراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب (من العصر الجاهليإلى القرن الرابع الهجري)، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006، ص 31.

كان حسان بن ثابت من صحابة الرسول صلى الله عليه و سلم و كان يعرف بالفصاحة و البلاغة، فقد كان يكتب الشعر في مدح الرسول محمد عليه الصلاة و السلام و كان يحارب الكفار بلسانه، و كان يذكر الحرب ويهدد الكفار، و يعيرهم في شعره بكفرهم .

و رغم نفي القرآن الكريم عن الرسول صلى الله عليه و سلم صفة الشعر، إلا أن هذا لا يعني انفصال النبي عليه الصلاة و السلام عن الحياة الثقافية السائدة آنذاك و التي كان الشعر من أعمدتها، بل كان يتذوق الشعر، ويفضل أبيات على أخرى، ويستمع إلى الشعراء الذين يفيدون عليه.[1]

قال حسان في مدح النبي عليه أزكى الصلاة و السلام: [2]

أغَرُّ عَلَيْهِ لِلنّبُوَّةِ خَاتَمٌ * مِنَ الله مَشْهُودٌ يَلُوحُ و يشْهَدُ

و ضمَّ الإلهُ اسمَ النبيّ إلى اسمهِ * إذا قَالَ في الخَمْسِ المُؤذِّن أشْهَدُ

و شقّ لهُ من اسمهِ ليجلهُ * فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمدُ

نبيٌّ أتَانَا بَعْدَ يَأسٍ و فَتْرَةٍ * منَ الرسلِ و الأوثانِ في الأرضِ تعبدُ

[1]–ينظر، طه أحمد ابراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 33.

[2]–حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، ص 459، 460.

و لما كان للشعر منزلة كبيرة ومهمة أصبح الشاعر صاحب المكانة المرموقة، و مع مرور الزمن صار الإسلام يلج في نفوس الناس، و تطور الشعر الإسلامي، وبلغ أعلى رفعته، و صاروا يعيشون عيشة إسلامية كلها حرية وطمأنينة و سلام.

➢ خصائص الشعر الإسلامي:

طبع الدين الجديد الشعر بطابع مميز شكلا ومعنى، وتجلت آثار هذا الدين من خلال تأثر الشعراء بالقرآن الكريم الذي هو ذروة البلاغة العربية، وتتمثل خصائص الشعر الإسلامي في ما يلي: – روعة النغم، رقة الشعور، جودة المعاني، التفاضل بين الحسن و الرديء، الانسجام بين المعنى و الإحساس، توظيف التشبيه، الخيال مادة خام عند الشعراء الإسلاميين، الصلة الوثيقة بين العواطف القوية وبين الشعر.[1]

من المؤكد أن القرآن الكريم باعجازه المبهر، وبلاغته الفريدة، و بيانه القوي، قد أحدث انقلابا في مجال اللغة العربية، لم تتوقف آثاره عند العرب وحدهم، و لكنه امتد ليشمل الإنسانية كلها بما أعطته هذه اللغة بفضل القرآن الكريم للعالم من علوم متعددة ومتنوعة، حملتها إليهم في شتى بقاع الأرض، وبها عصارة الفكر الإسلامي والعالمي.

3-2الشعر في عهد الخلفاء الراشدين:

[1]–ينظر، طه أحمد ابراهيم، تاريخ النقد العربي عند العرب، ص 43، 44.

حفلت السيرة النبوية بمواقف و مناقب أولئك الرجال الذين أكرمهم الله تعالى بشرف صحبة النبي صلى الله عليه و سلم منذ بعثته حيث قدّموا تضحيات كبيرة و بطولات عظيمة في ميادين الدعوة و الجهاد فكانوا أهل وفاءٍ لرسالة الإسلام، كان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عالمًا بالشعر ذا بصر فيه، فقد كان النابغة في نظره أشعر من غطفان و أشعر شعراء عبس و ذبيان، و أشعر من عنترة و من عروة بن الورد، و من الشماخ بن ضرار.[1]

و قد صادف عمر بن الخطاب في حياته مواقف مرتبطة بالشعر و الشعراء خاصة فيما يتعلق بالهجاء، و من أشهر تلك المواقف لما شكى له بعضهم هجاء الخطيئة له إذ يقول في هجاءه للزبرقان بن بدر في قصيدته التي جاء فيها:[2]

دَعْ المكارمَ و لا ترحل لبغيتها *** و اقعد فانّك أنت الطاعم الكاسي

كذلك استدعى بنو العجلان عمر بن الخطاب على النجاشي الحارث حين هجاهم بقوله: [3]

إنّ الله عاد أهل لُؤْمٍ و رقةٍ *** فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل

[1]– ينظر، طه أحمد ابراهيم، تاريخ النقد العربي عند العرب، ص 34.

[2]–المرجع نفسه ، ص 36.

[3]–المرجع نفسه، ص 36.

II. الآراء النقدية في عصر التدوين:

ظل موضوع الثنائيات من أهم المواضيع التي شغلت بال كثير من الدراسيين مع اختلاف الرؤى وتباين المفاهيم و النظرات لأجل تنوير الفكر الإنساني، و جعله أكثر انجذابا إلى هذه الثنائيات تأثيرا و تأثرا، و الشعر و النثر جنسان أدبيان تندرج تحتهما فنون القول في مجملها سواء ما ارتبط منهما بالشعر و ما ارتبط منهما بالنثر.

أولا: الشعر:

تنطوي مادة الشعر على معنيين متابينين، معنى حسي و هو الشعر و هو: "نبتة الجسم مما ليس بصوف و لا وبر و يجمع على أشعار و شعور و شعار"[1]. و أما المعنى الثاني و الذي تدل عليه مادة الشعر، فهو العلم فمعنى ذلك " شعر به هو على علم به فطن له، و الشاعر غلب على منظوم القول لشرفه بالوزن و القافية و إن كان كل علم شعرا".[2]فقد أتت لفظة الشعر نسبة إلى المشاعر و الأحاسيس التي تلج في فؤاد الفنان، لتجعل فيه روح إبداعية مميزة.

[1] الفيروز آبدي، مجد الدين محمد يعقوب، القاموس المحيط، تق: الشيخ أبو الوفا دار الكتب الحديثة، ط 1، بيروت، 2004، ص 441.

[2]المصدر نفسه، ص 441.

إن العرب تعد الشعر فنا جميلا من الآداب الرفيعة، و لكن اختلفوا في تعريفهم له فمنهم من يرى أنه كلام جميل لا يشترط الوزن و القافية، و منهم من يرجعه إلى الأمثال و الحكم، بينما الكثرة الكثيرة منهم اجتمعوا على وجوب الوزن و القافية.[1]

و بدوره حازم القرطاجني يعتبر الشعر: " كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس مما قصد تحبيبه إليها و يكره إليها ما قصد تكريهه لتحمل ذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمن من حسن تخييل له، و محاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام أو قوة شهرته أو مجموع ذلك".[2]

يقصد القرطاجني هنا الشاعر الذي يندفع إلى إنشاء الشعر، إنما هو أحدث انفعال في نفس المتلقي، يحبب إليها شيئا أو يكره إليها شيئا آخر، فالشعر هو الكلمات التي تحمل معان لغوية تؤثر على الإنسان عند قراءته، أو سماعه.

أ- أغراض الشعر الجاهلي:

لقد نظم الشاعر الجاهلي في شتى الموضوعات ،و لا يعني هذا أن القصيدة الجاهلية خالصة دائما لموضوع واحد، فقد نظم غرضين أو أكثر و لكنها تنسب إلى موضوع أساسي الدي نظمت من أجله القصيدة حتى إذا كانت مزيفة بموضوعات جانبية أو أخرى، مثال:

[1]-ينظر، محمد هاشم عطية، الأدب العربي و تاريخه في العصر الجاهلي، ص 93.

[2]-حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن خوجة، د ط، تونس، 1966، ص 71.

مقدمةطللية ← الغزلالموضوعي ← الرثاء الأساسي

و أغراض الشعر الجاهلي هي: الفخر، الهجاء، المنافرة، الحكمة، الغزل، المدح، الرّثاء، و الوصف.[1]

ب- خصائص الشعر الجاهلي:

يمتاز الشعر الجاهلي بمجموعة من الخصائص المعنوية و الشكلية و هي كالتالي:[2]

1- الخصائص المعنوية:

1-1-**المادية والحسية:** مال الشاعر الجاهلي إلى وصف الأشياء وصفا حسيا ظاهريا، فقد دققوا فيه و فصلوا فيه تفصيلا مثلما فعل امرؤ القيس في وصف حبيبته، و في وصف ناقته.

2-1-**البساطة في التفكير:** إذا دققنا النظر في معاني الشعر الجاهلي نجدها بسيطة لا تكلف فيها.

3-1-**الصلة بالبيئة:** استمدت موضوعات الشعر الجاهلي من البيئة الصحراوية بأرضها و حيواناتها و نباتها، و جمادها و الحياة القبلية بخيرها و شرها.

4-1-**وحدة المعاني و تنوع الصور:**

[1] ينظر، حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي و تاريخه، ص 95، 96.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص 98-107.

تدور موضوعات الشعر الجاهلي حول معاني كثيرة، و مختلفة فكل واحد يقول فيما قاله سابقه أو معاصره، فقد أكثروا الحديث عن المرأة، و الخيل و الإبل و البقر الموحش، الطبيعة، فالشعراء و إن قلدوا غيرهم إلا أنهم كانوا يحاولون بقدر الإمكان أن يظهروا شخصياتهم.

5-1-الصدق و الدقة:

الدقة التعبيرية ترجع في بعض نواحيها إلى العناية بالتفاصيل و الجزئيات و العناية بالنقل الصادق لحقيقة الأشياء.

6-1-الفن القصصي:

و تتضح الروح القصصية خاصة في وصف الصعاليك لمغامراتهم مفتخرين بشجاعتهم و بعدم رهبتهم للموت.

7-1-الروح الجماعية:

يتحدث الشاعر الجاهلي بنحن الجماعة و لا بأنا المفردة فهو لسان قبيلته، و يظهر ذلك جليا في الفخر و الجهاد و الوعيد، لكن ذلك لا يعني غياب الذاتية الفردية خاصة عندما يفتخر بنفسه.

8-1-الحياة و الحركية:

إشاعة الشاعر الجاهلي في معانيه الحسية و الحركية و بث فيها الحيوية، و هذه الأخيرة مأخوذة من طبيعة حياتهم التي تعتمد على الترحال المستمر بحثا عن مصادر العيش، و من ثم كانوا إذا وصفوا الحيوانات كالنوق و النعام وبقر الوحش وصفوها متحركة لا واقفة، كما فاضت قصائدهم بحركة واسعة، فالشاعر ينتقل من معنى إلى آخر بسرعة متواصلة و هذا ما جعل القصيدة الجاهلية تتألف من أبيات مستقلة فلا يتوقف البيت الواحد على ما يسبقه و على ما لا يلحقه إلا نادرا.

2- الخصائص اللفظية:

2-1-المحافظة على التقاليد الشعرية:

للقصيدة الجاهلية تقاليد معينة التزم بها كل شعراء ذلك الوقت فهي تبدأ بالوقوف على الأطلال و البكاء و الاستبكاء عند الرسوم ثم يخرج الشاعر يخاطب صحبه و غالبا ما يكون اثنين مهمتهم الترويح عن الشاعر و تهدئة خاطره، ثم يستعيد الشاعر لساعة رحيل الحبيبة رفقة قومها.

أ- مطلع القصيدة:

اهتم العرب بمطلع القصيدة اهتماما فائقا (غاية فائقة)، لأنها مفتاح القصيدة، فطالبوا الشعراء بأن يبذلوا غاية الجهد في إجادته و إتقانه علما منهم بقوة الأثري الأولى في النفس و أنه يدفع السامع إلى الانتباه و الإصغاء إن كان جيدا، و إلى الفتور و

الانصراف إن كان ضعيفا فاترا، و قد بلغ جل الشعراء في ذلك مقاما محمودا كما رأوا من كمال جمال هذه المطالع أن تكون تامة الموسيقى بالتصريع و هو أن ينهي آخر جزء في صدر القصيدة و آخر من عجزه بنفس الحرف و رنا و رويا و إعرابا.

ب- حسن التخلص:

و هو انتقال الشاعر من معنى إلى آخر بعدما أنهى كلامه في النسيب (الغزل) و يشترط منه عدم شعور السامع بالانتقال من المعنى الأول و قد وقع في الثاني لشدة الممازجة و الالتئام و الانسجام بينهما حتى و كأنهما قد أفرغا في قالب واحد، أي الشعور بالتدقق في الانتقال من التشبيب (الغزل) إلى الغرض الأساسي للقصيدة.

ج- حسن القطع:

و يقصد به حسن الخاتمة فكما اعتنى العرب بمطالع القصائد اعتنوا عناية فائقة بآخرها لأنه آخر ما يبقى في الأسماع.

د- وحدة البيت:

أن يكون كل بيت في القصيدة مستقل بمعناه أي لا يحتاج للبيت الموالي لإكماله، وعد من عيوب الشعر أن يحتاج البيت إلى غيره.

هـ- وحدة القصيدة:

اهتم الشعراء في قصائدهم بالتناسق و الارتباط بين أجزاء القصيدة بحيث لا يجب علىالقارئ أن يشعر بوجود حلقات مفقودة بين البيت وتليه.

و- الوزن و القافية:

لا يسمى الشعر شعرا إلا إذا كان له وزنا و قافية.

2-2العناية بالألفاظ و العبارة:

اعتنى الشعراء الجاهليون بتنقيح ألفاظهم و عباراتهم و يتضح ذلك جليا في شعر الحوليات.

2-3 أحكام الصيغة الموسيقية:

تقيد الشعر الجاهلي في قصيدته بوحدة الوزن و القافية، و هذا ما جعله يتخير الألفاظ و التراكيب التي ينتج منها انسجام في الموسيقى و الإيقاع لثورة لغوية غنية تمكنه من اختيار ما يريد و وضعه في مكان يظهر جماله و رونقه.

2-4 الاستعانة بالمحسنات اللفظية و المعنوية:

زين الشعراء الجاهليون أشعارهم بطائفة من المحسنات البديعية مثل الجناس و الطباق و المقابلة كما ركزوا على جمال البيان عبر توظيفهم للتشبيه و الكثير من الاستعارات و

المجاز و الكناية لغرض التأثير في سماعهم و أكثر هذه الصورة مستمدة من الصحراء بنباتها و حيوانها و من معيشة أهلها و عاداتهم و تقاليدهم و أساطيرهم.

ج- مكانة الشعر الجاهلي عند النقاد و منزلة الشاعر:

الشعر سجل لمآثر العرب و خزانة لحكمهم، فهو مستودع علومهم ومستنبط آدابهم، و القصيدة هي الأبقى على الدهر و أخلد من كل أثر، فالجاحظ يرى: " فكل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال. وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في دلك على الشعر الموزون والكلام المقفى وكان دلك ديوانها".[1] و هذا ما يجعل مكانة الشعراء تكبر و أشعارهم تؤثر و تغزو النفوس حيث كانت مصادر الشعر الجاهلي تتحدث عن صورة هؤلاء الشعراء التي تنطق بالبلاغة، و جلال الكلمة.

ثانيا: النثر:

النثر طرف ثاني إلى جانب الشعر حيث تشكل ثنائية كاملة للأدب العربي المتمحور حول الشعر و النثر يعني ذلك الكلام الحر الواسع الذي يأتي عفويا دون أي ركاكة أو مشاكل لاحقة. يقول ابن وهب "الشعر محصور بالوزن ،محصور بالقافية فالكلام يضيق

[1] أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، الحيوان، ج1، تح: عبد السلام محمد هاروندط، دار الجيل ، بيروت ، 1965ن ص 72-71

على صاحبه ،والنثر مطلق غير محصور ،فهو يتسع لقائله"،[1] أي أن النثر غير مقيد لا بالوزن و لا بالقافية و هو كلام تلقائي ذو لغة سلسلة و أسلوب بسيط و قد تحدث النهشلي عن النثر عند القدماء حيث أوضح أن " لما رأت العرب المنثور كيَد عليهم ويتلفت من أيديهم ،ولم يكن هدا الكتاب يتضمَن أفعالهم تدبروا الأوزان والأعاريض ،فأخرجوا الكلام أحسن مخرج بأساليب الغناء فجاءهم مستويا ،وراوه باقيا على مر الأيام فألفوا دلك وسوه شعرا ،والشعر عندهم الفطنة"،[2] و بصريح العبارة يريد النهشلي أن يوضح أن في القديم استعان الجاهليون بالشعر الموزون و المقفى لداعي الحفظ و التكرار فالوزن و الإيقاع و الموسيقى في الشعر يساعد على حفظ الأشعار كما قالها قائلها، فهذه هي الحاجة إلى الوزن، و لا يصح الشعر من دونه و أي كلام يخلو من الوزن نسميه نثرا.

يقول عبيد بن الأبرص:[3]

لساني بالنثير و بالقوافي * و بالأشعار أمهر في الغواص**

إن أجناس الكلام حسب أبي هلال العسكري ثلاثة هي:

---

[1] ابن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تع، أحمد مطلوب و خديجة الحدثي،ط1، مطبعة المعاني، بغداد، 1967، ص 161.

[2]–عبد الكريم النهشلي القيرواني، الممتع في صنعة الشعر، تح، محمد زغلول سلام، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية، دت، ص 19.

[3]–عبيد الأبرص، ديوانه، تح، حسين نصار، دط، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1957، ص19.

الرسائل و الخطب و الشعر، و الحقيقة أن الرسائل و الخطب جنسان أدبيان يندرجان ضمن فن أو جنس عام هو النثر و يقول البشير المجذوب أن " أما النثر فما ورد في حقه من تعريف لا يتحدى التقسيم و التصنيف، فهو باعتبار الشكل الأدبي ينقسم إلى خطب و رسائل"[1]. إن أبا القاسم الاشبيلي يرى النثر هو الأصل لهذا كان الأحق بالاهتمام و الدراسة، يقول " و انما خصصت المنثور لأنه الأصل الذي أمن العلماء، لامتزاجه بطبائعهم"[2] و لا يخف ما يتضمنه كلام أبو القاسم من إشارات غاية في الأهمية لكونها تندرج ضمن الوظائف التصنيفية و التجنيسية التي يجب أن يطلع مبدعو الأدب و مؤخروه و دارسوه، و لعل هذا ما حاول أن يقوم به أبو القاسم من خلال تأليفه لكتاب " أحكام صنعة الكلام" إذ يشير عنوان الكتاب بذلك.

[1]–البشير المجذوب، حول مفهوم النشر الفني عند العرب القدامى، دط، الدار العربية للكتاب، دت، ص 11.

[2] أبو القاسم الأشبيلي، أحكام صنعة الكلام، تح: محمد رضوان الداية، ط1، دار الثقافة للصناعة و النشر والتوزيع، 1966، ص 31.

III. الطبع و الصنعة في النقد القديم:

إن الطبع من أهم عناصر الشعر في العصر الجاهلي، لأن الشعر إبداع متولد في طبيعةالشاعر وسليقته، و هذا الإبداع ينبثق من قريحة الشاعر، فيتم من خلال الإبداع استغلال كل المكونات العقلية و الوجدانية التي تختلج في نفس المبدع، و كل مبدع يتمتع بقدرات خاصة تميزه عن غيره، فهذه موهبة من الله تعالى يحظى بها الفنان.

وفيما يلي نعرض أهم أراء النقاد القدامى فيما يتعلق بالطبع:

1- الطبع:

- **بشر بن المعتمر:**

قال ينصح الكاتب: " فإن ابتليت بأن تتكلف القول و تتعاطى الصنعة، و لم تسمح لك طباع في أول وهلة، و تعصىَ عليك بعد إجالة الفكرة، فلا تعجل و لا تضجر، و دعه بياض يومك أو سواد ليلك، و عاوده عند نشاطك وفراغ بالك، فإنك لم تعدم الإجابة ،فإن تمنع عليك بعد دلك فالمنزلة الثالثة أن تتحول من هده الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك وأحقها عليك".[1]في هذه المقولة ينصح بشر بن المعتمر الكاتب بعدم

[1]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،البيان و التبيين،ج1،تر وتح زكريا عميرات،ط1،دار الفكر العربي للطباعة والنشر،مصر،2000،ص138.

كتابة أي شيء ما دام لم يكن مستعدا لهذا الأمر أو أن طبعه لم يسعفه في ذلك اليوم فأساس الكتابة هو الاستعداد الفطري لها.

- **ابن الأثير:**

الطبع عند ابن الأثير هو الاستعداد الفطري أو العبقرية أو الموهبة التي يهبها الله من يشاء من عباده، و تأتي من فيض إلهي من غير تعلم سابق، و من يختص بها يكون غدا واحدا في زمن المتطاول.[1]

هنا يؤكد ابن الأثير على خطورة الطبع الذي هو هبة إلهية و قليلا ما يكون عند الأدباء، ومن أوتي منها فقد أوتي فضلا كبيرا.

- **القاضي الجرجاني:**

يقول في كتابه الوساطة بين المتنبي و خصومه: " الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع و الرواية و الذكاء، ثم تكون الدربة له قوة لكل واحد من أسبابه"[2] يقصد الجرجاني هنا أن الطبع الذي يستوفى الشعر هو الذكاء و الفطنة و الوعي لخطى الشعر العربي.

[1] ضياء الدين بن الثير، مثل السائر في أدب الكتاب و الشاعر ص 180 نقلا عن محمد زغلول سلام، تاريخ النقد العربي، ص 51

[2] المرجع السابق، ص 52.

- **ابن طباطبا:**

بدوره يرى أن الملكة أو الطبع لا يكفيان للخلق الشعرين إنما ينبغي أن يقوى الطبع الدربة و سعة الاطلاع و الحفظ لروائع الشعر.[1] فهو يؤكد على وجوب وجود قاعدة يبني عليها الشاعر نظمه و هو الطبع الذي لا يمكن أن يكون الشاعر شاعرا بدونه، وهو يساعد على تفاضل الشعراء و هو التجربة التي سماها بالدربة.

نعود أدراجنا إلى بشر بن المعتمرو نرى من خلال صحيفته مدى شمولها على عدة أفكار بلاغية يمكن تلخيصها في النقاط التالية:[2]

أ- الموهبة الأدبية:

اهتم بشر بالحديث عن الموهبة الأدبية، و هي و لو خاص من التميز و كل إنسان ميسر لما خلق له، فقد يكون الإنسان موهوبا في التجارة، أو الصناعة، أو الفلاحة، أو في الألحان أو في الغناء، أو في تلاوة القرآن، أو في التسابيح، و الموهبة تميز في الذكاء في جانب ينبغي أن يعان الذكي في جوانب أخرى أهمها الجوانب الاجتماعية، و الأدب لا بد فيه من هذا التميز الفطري، و الموهبة الفطرية لا تكفي بمفردها ولابد من تقويتها باكتساب مهارات تبرزها و تنميها و توفير البيئة الأدبية التي تأخذ الأديب وتقوم عمل الإبداعي.

ب- الطبع و الصنعة:

[1] المرجع نفسه، ص 52.

[2] أحمد محمود المصري، البلاغة العربية نشأتها ة تطورها، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الاسكندرية، 2014، ص 12، 13، 14.

يميل بشر إلى الطبع و يطلب من الأديب استثمار لحظة الإبداع نظرا لكونها لحظة متميزة لا تتأتى في كل وقت، فيجب على الأديب انتهازها، لأن ما تجود به قريحته فيها سيكون طبيعيا بعيدا عن التكلف و الاستكراه تتحقق في أدبه صفات الحسن في أسلوب سهل ممتنع لأنها لحظة صدق في الشعور يواكبها صدق في التعبير.

ج- العلاقة بين المبدع و المتلقي:

نظر بشر بن المعتمر للعملية الإبداعية نظرة ترتكز على ثلاثة عناصر هي: 1- الأديب المبدع. 2- المتلقي للدب. 3- الأدب الذي يبدعه الأديب. فالأديب ينبغي أن يضع المتلقي في اعتباره و يحاول إحداث تجانس بين الفكرة التي يقحمها له و اللغة التي توصل هذه الفكرة، فيجعل لكل طبقة كلاما و لكل حالة مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني و أقدار المعاني على أقدار المقامات.

➢ شرف المعنى:

يرى بشر بم المعتمر أن المعنى الشريف لا يكتسب قيمته من ذاته بقدر ما يكتسبها من مناسبته للمقام الذي ورد فيه، و بالتالي فإن شرف المعنى لا يرجع إلى كون المعنى من معاني الخاصة أو من معاني العامة، فالكل شريف إذا وضع في موضعه الصحيح و أحسن توظيفه ليحقق هدف صاحبه، و الأديب البارع هو من يجعل لكل مقام معنى

خاصا يليق به، و أبرع منه من يتمكن من تقريب معاني الخاصة و تيسيرها حتى يفهمها العامة.

د- طبقات الكلام و مراتبه:

يقسم بشر بن المعتمر الكلام إلى طبقات تبعا لأقدار الناس ،و تحليل المعنى يقوم على أن صورة المقال تختلف عند البلاغيين بحسب المقام ،أي الألفاظ و التراكيب و المعنى المقامي و هو السياق الذي صاحب إنشاء الأدب بأنواعه النفسي و الاجتماعي و السياسي.

تعتبر خاصية الطبع من أهم قضايا النقد العربي القديم، إذ شغلت حيزا كبيرا في مؤلفات القدامى، و كل مرسل يذهب برأيه إلى ما يريد إقناع المتلقي بصواب فكره.

2- الصنعة:

لقد مر بنا أن الطبع هو أمر لا غنى عنه بالنسبة للشاعر، و لكن هذا الطبع يحتاج إلى الصنعة، فما المقصود بالصنعة؟ فهذا ابن سلام الجمحي يؤكد أن " الشعر صنعة كسائر الصناعات"[1]، و يؤكد محمد زغلول سلام على إشكالية مهمة وهي تداخل بين مفهومين وهما التكلف و الصنعة، فالبعض يخلط بين هذين المصطلحين و هذا ربما

[1] محمد زغلول سلام، تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري، ص 53.

عائد على حداثة النقد العربي آنذاك الذي كان في بدايته. "فكثير منهم لا يفرق بين التكلف و الصنعة، و يرى في الصنعة تكلفا، و على ذلك فهي شيء مذموم قبيح في الشعر، و يمتدح الطبع و التأني، و يجعله عكسا للصنعة، و ليس هذا بالقول السديد، فالطبع و الصنعة لا يتعارضان، بل يتفقان و يتناصران، فيقوى أحدهما بالآخر ويشتد"[1].

يعيد محمد زغلول سلام الناقد ابن رشيق إذ رأى في الصنعة: "جمالا وحسنا، و في التكلف قبحا، و جمال الصنعة راجع للقدرة و الحذق، و قبح التكلف راجع للقصور و الكذب و التقليد، و في الأولى يكون التلاؤم و التالف، و في الثاني يكون الاختلاف و التفاوت".[2]

أما ابن طباطبا فقد ربط القول بالطبع و الصنعة بالعبث في عملية الخلق الشعري، "إذ قسم الخلق الشعري إلى ثلاث مراحل: الفكرة ثم التعبير ثم مرحلة التثقيف"[3].

خلاصة:

و ما نستخلصه من بعض هذه الآراء أن الشاعر عليه أن يكون مطبوعا أي يمتلك موهبة لقول الشعر، فهو أمر فطري غير مكتسب، و إلا لكان كل الناس شعراء، و لكن هذه الموهبة تحتاج إلى خبرة و ممارسة و رواية لكي تتفتق و تؤتى ثمارها شعرا.أما قضية الصنعة و هي الطرف الثاني للطبع فهي صفة تعني الصناعة و القول الحسن الجميل.

[1]– محمد زغلول سلام،تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري،ص53.

[2]المرجع نفسه، ص54.

[3] نفس المرجع، ص 56.

Vقضية اللفظ و المعنى في النقد العربي القديم:

إن قضايا النقد العربي القديم متعددة فريدة، أسالت من المداد الشيء الكثير، و لعل قضية اللفظ و المعنى تبقى على رأس المشاكل أو القضايا التي شغلت النقاد العرب، و ذلك لما نشب حولها من اختلاف لوجهات النظر بين من يتعصب للفظ و يحتج له، و بين من لا يرى سوى المعنى شيئا يدعو للاهتمام، و بين النقاد و البلاغيين، حيث نجد منهم من يريد أهم ركائز العمل الأدبي و أقوى دعائم نجاحه إلى المعنى، مهملا اللفظ، و هناك من يردها إلى اللفظ، و فريق آخر يسوي بينهما إذ " يتفق معظم الباحثين أن البداية الأولى لقضية اللفظ و المعنى كانت مع الجاحظ، الذي بالإضافة إلى رأيه في أقسام البيان عامة، و ملاحظاته المتعلقة بالظاهرة اللغوية، تمتد تصوراته الأسلوبية و مقاييسه البلاغية في رسوخ في نظريته في الكلام التي تقدر أن الكلام هو المنظر العلمي لوجود اللغة المجردة".[1]

دار جدال بين النقاد المشارقة و النقاد المغاربة فيمكننا القول أن إشكالية نقدية شائعة في الساحة النقدية و العربية التي حازت من الاهتمام الشيء الكثير، فهنا مختلف فئات نقاد الشرق و نقاد الغرب، و ما أثير من خلاف بينهم.

1- فئة تنصر اللفظ:

[1] الأخضر الجمعي، اللفظ و المعنى في التفكير النقدي و البلاغي عند العرب، دط، منشورات كتاب اتحاد المتب العرب، دمشق، 2001، ص 39.

- **الجاحظ:**

من الذين ينتصرون للألفاظ على حساب المعاني لأنها جديرة بالاهتمام و دفعته العناية باللفظ إلى أن يقول: " و المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي و العربي و البدوي و القروي و المدني، و إنما الشأن في إقامة الوزن و تخير اللفظ و سهولة المخرج و كثرة الماء، و في صحة الطبع و جودة السبك، فإنما الشعر صناعة و ضرب من النسج، و جنس من التصوير"[1]، فقيمة اللفظ عنده فوق قيمة المعنى، بحيث أن الراجح في الأمر أن الجاحظ كان من أصحاب المشاكلة و المطابقة بين اللفظ و المعنى، و حجتنا في ذلك هي أن الجاحظ جعل اللفظ و المعنى في مقابل الجسد و الروح.

- **قدامة بن جعفر:**

ذهب مذهب الجاحظ فحكم على الشعر بصورته فإنه يؤمن بالصياغة و الشكل، لأن الشاعر ليس يوصف بأن يكون صادقا، بل إنما يراد منه، إذا أخذ في معنى من المعاني كائنا ما كان أن يجيده في وقته الحاضر لا يطالب بأن لا ينسخ ما قاله في وقت آخر[2] ويريد قدامة بن جعفر أن يبرر مدى أهمية اللفظ في الشعر و يجب ان تختار الألفاظ لتلاؤم

[1] حاتم الضامن، نظرية النظم، دط، منشورات وزارة الثقافة و الإعلام، بغداد، 1979، ص 35، 36.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص 34.

موقعها في الجمل و العبارات لأن اللفظ علامة على المعنى، لأن المتكلم سيتعين على حسب قصده بألفاظ قد تستجاب من قبل المتلقي لأول وهلة.

- **أبو هلال العسكري:**

و ذهب العسكري هذا المذهب أيضا، و ليس يطلب من المعنى سوى أن يكون صوابا، و من الدليل على أن مدار البلاغة على تحسين اللفظ أن الخطب الرائعة و الأشعار الراقية ما عملت لإفهام المعاني فقط، و إنما يدل حسن الكلام، و أحكام صنعته، و رونقة ألفاظه و جودة مطالعه و حسن مقاطع، و بديع مبادئه، وغريب مبانيه، على فضل قائله، و فهم منشئه، و أكثر هذه الأوصاف و ترجع إلى الألفاظ دون المعاني[1].

2-فئة تنصر المعنى:

- **المرزوقي:**

يقول: " فلما كان الشاعر يعمل قصيدته بيتا بيتا و كل بيت يتقاضاه بالاتحاد وجب أن يكون الفضل في أكثر الأحوال في المعنى، و إن يبلغ الشاعر في تلطيفه، و الأخذ من حواشيه، حتى يتسع اللفظ له فيؤدى به على غموضه و خفائه حدا يصير المحرك له و

[1]حاتم الضامن، نظرية النظم، دط، منشورات وزارة الثقافة و الإعلام، بغداد، 1979، ص34.

المشرف عليه، كالفائز بذخيرة اغتنمها و الظافر بدفينة استخراجها"[1]. يوضح المرزوقي هنا أن الشاعر لم يكتب الشعر إنما يرهق نفسه رغبة في استظهار المعاني الواجب استظهارها، و ذلك لكشف غموض اللفظ و شرحه عن طريق المعنى فقط.

- **ابن الأثير:**

كان من أكثر المتعصبين لتلك الفئة إذ يجعل الألفاظ خدم المعاني، و المخدوم لاشك اشرف من الخادم، و لو جردت الألفاظ من دلالتها على المعاني، لما كلن شيء معها أحق بالتقديم من شيء و إنما النظم و النثر يستعان عليهما بتدقيق الفكرة و كثرة الرؤية و التدبير، و هذا يكون في المعنى دون اللفظ.[2]

يريد ابن الأثير من فكرة هذا أن يدعم مذهبه القائل أن طبقة المعاني فوق طبقة الألفاظ، و المعاني تشتغل الألفاظ و تستخدمها، و إن اللفظ دون المعنى لا شيء.

3-فئة تقول بالترابط التام بين اللفظ و المعنى:

لعل ابن قتيبة أول من دعا إليها بذلك خالف الجاحظ في مسألة اللفظ على المعنى، فرأى" أن الشعراء أربعة و أن البلاغة لا تقتصر على اللفظ فقط، فقد تكون فيه، و قد تكون

[1] حميد آدم ثويني، منهج النقد الأدبي عند العرب، ط1، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، 2004، ص 83.

[2]- حميد آدم ثويني، منهج النقد الأدبي عند العرب ، ص 83.

في المعنى أو فيهما معا، و قد تنقصهما معا، فمذهبه مذهب التسوية وميزانه في ذلك (الجودة و الرداءة)."[1]

دافع ابن قتيبة عن مذهبه بإرجاعه إلى البلاغة، لأن البليغ يستمد و يأتي ببلاغته استنادا إلى المعنى تارة، و استناد إلى اللفظ تارة أخرى، أو إلى كليهما معا. و بالتالي يميز بين أربعة أقسام من الشعر: [2]

- ضرب منه حسن لفظه و جاد معناه.
- ضرب منه حسن لفظه و حلا، فإذا أنت فتشته لم تجد فائدة في المعنى.
- ضرب منه جاد معناه و قصرت ألفاظه عنه.

إذن فالشعر عند ابن قتيبة لفظ ومعنى و كلاهما يجيء حسنا حينا و رديئا جينا أخرى.

وأشار ابن رشيق القيرواني إلى ضرورة التلاحم بين اللفظ و المعنى لأن اللفظ جسم و المعنى روحه، و إذا سلم اللفظ سلم معه المعنى.[3]

وصفوة القول أن الهدف من دراسة قضية نقدية بحجم قضية اللفظ و المعنى، ليس هو فقط جردا لأقوال العلماء و النقاد، لقدر ما هو اطلاع على الفكر العربي القديم في

[1]– المرجع نفسه، ص 76.

[2]–ابن قتيبة الدينوري، الشعر و الشعراء، ج1، دط، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ، ص 65، 67، 69.

[3]-حاتم الضامن، نظرية النظم، دط، منشورات وزارة الثقافة و الإعلام، بغداد، 1979، ص38.

عمومه، من أجل إذكاء الوعي الثقافي النقدي لدى دراسي النقد و الأدب عموما، و لعل أهمية هذه القضية النقدية و فائدتها تتجلى في هذا الدور بالذات.

IVالبلاغة العربية في النقد القديم:

إن عبارة " لكل مقام مقال، و لكل مقال مقام" تفي غرض البلاغة و تقصد أن كل حالة ومقتضى قول يترجم و يصل الى السامع، يفهمهم بكل روح فنية و بلاغية، و تأتي الألفاظ في كل اتساق و انسجام دون ركاكة و لا خلل، و تكون الدلالة هادفة تغذي الأدب المحض و تنير عقل المتلقي في لغة سليمة وتعبير مبدع.

➢ تعريف البلاغة:

تعني البلاغة عند محمد زغلول سلام: "المعنى العام للقول الجميل الذي يبلغ به الأديب درجة من الجودة و الإبداع، و هي أكثر ما تطلق وصفا، فيقال: في قول فلان بلاغة، و تعدد جوانب الجودة بتعدد نظرة من يستخدم اللفظ".[1] بمعنى أصح البلاغة هي ذلك الكلام القيم الذي يحلق في السماء الجودة و الرفعة، الذي يأتي بغرض الإقناع لكن بدرجة رفيعة و لغة محضة و أسلوب كله رموز هادفة. و قد قسم الرماني البلاغة إلى عشرة أقسام هي: الإيجاز، التشبيه، الاستعارة، التلاؤم، الفواصل، التجانس، التصريف و التضمين، و المبالغة وحسن البيان.[2] كلها أدوات نوظفها إلى الأسلوب لننشئ نسيج من العبارات يكون فيها الكلام كله حكم وعبر ومغزى.

[1]–محمد زغلول سلام، تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري،دط، دار المعارف، مصر، دت، ص 19.

[2]–المرجع نفسه، ص 21.

كان العرب القدامى يميلون إلى استخدام اللغة إلى أنواع بلاغية مختلفة، عينهم على تأدية معنى الكلام بالشكل السليم.

يعد الإيجاز من أهم الأنواع البلاغية التي كان العرب يميلون لاستخدامها في كلامهم و شعورهم، و قد عرف العلماء و النقاد العرب القدامى بأنه: " جمع المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل الوافي بالغرض من الإبانة و الإفصاح".[1] و هذا يعني أنه اللفظ القليل المستوفي للمعنى كله من غير خلل و لا نقصان. و قد عرف الروماني الإيجاز بقوله: "هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف".[2] فخير الكلام ما قل و دل. و بدوره ألف السكاكي كتابه في القرن السابع الهجري تحت عنوان "مفتاح العلوم"، و تكلم فيه عن البلاغة بقوله: "هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاصا بتوفية خواص التراكيب حقها، و إيراد أنواع التشبيه، و المجاز و الكناية على وجهيها".[3]

بلغ العرب في الجاهلية مرتبة رفيعة من البلاغة و البيان فقد كانوا يعجبون ببلاغة القول في صورة بيانية، إلى جانب فصاحة منطقهم، و كانت القصيدة كثيرا ما تمكث حولا كاملا عند صاحبها،، يغترفون من بيع معانيها الثري أجمل القصائد بالرغم من أنهم أميون،

[1]–السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، ط5، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2012، ص 137.

[2]–الرماني والخطابي و عبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، طخائر العرب، تح: محمد خلف الله أحمد و محمود زغلول سلام، ط3، دار المعارف، مصر، 1976، ص 70.

[3]– محمد السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ، ص 415.

و هذا إذا ما دل فهو يدل على أن بلاغتنا العربية تزخر بالتشبيهات و الاستعارات، التي كانت بفضل قوة الإحساس و التفنن في المواقف البليغة، و إلى جانب الشعر الخطابة فقد أبدع العرب ففي ضرب الأمثال و الحكم، في مختلف المواقف و الإحداث، هذا فيما يخص العصر الجاهلي.

و مع مرور الوقت أخذت العناية بالبلاغة تنمو مع ظهور الإسلام، بفضل القرآن الكريم ورسوله الكريم، و على حد قول الجاحظ فيما معناه أن الناس لم تستطع الإتيان بكلام من مثله لا نفعا و لا فصاحة، فلن نتحدث عن بلاغة هذه العصور دون المرور على الصحابة الذين تمتعوا بالفطنة و الحكمة، و كيف لا؟ و هم كانوا يلازمون الرسول الكريم فيقول ابن خلدون: " و اعلم أن ثمرة هذا الفن إنما هي فهم الإعجاز القرآني".[1]

و خلاصة القول أن البلاغة مصطلح أدبي يمثل فرع و علم من فروع اللغة العربية يعمل على دراسة الجمال و الكلام و تتحقق هذه الدراسة من خلال ثلاثة أركان أساسية هي: علم البيان، علم البديع وعلم المعاني.

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 2001، ص 521.

الفصل الثاني

النقد عند ابن خلدون

1- حياته وعصره:

ولد ابن خلدون في عصر اشتدت فيه النزاعات والصراعات بين الدول خاصةبلاد المغرب، إذ بعد هزيمة الموحدين في موقعة حِصَن العقاب بالأندلس أمام النصارى في القرن 13م انهارت الوحدة السياسية لشمال إفريقيا، وقامت على أنقاض الدولة الموحدية التي وحدت بلاد المغرب والأندلس، عدة دولتنازعت فيها السيطرة على النفوذ، فظهرت دولة الحفصيين في تونس، والتي امتد نفوذها إلى غاية بجاية ودولة الزيانيين في الغرب الجزائري وعاصمتها تلمسان ودولة بني مرين بالمغرب الأقصى .

وفي هذا العصر الذي كان يؤذن بأفول الحضارة الإسلامية ونهوض أوروبا، وُلد العلامة ابن خلدون الذي يُعد بحق موسوعي العلم والمعرفة نهل من كل علم طرفا يفيده، فعاش أحداث هذا العصر بحلوه ومُره، وعانى من الاضطهاد كونه كان طرفا أو فردا من بلاط الحكام هنا وهناك.

وقد مكنته سعة معرفته بالتراث الأدبي والعلمي الذي اطلع عليه أن يعطي لنا زُبدةعلمه التي هي نتاج عبقريتهالتي تجلت خاصة في كتابه المقدمة.

أ-اسمه و كنيته:

هو عبد الرحمان بنمحمد و يعود نسبه إلى جده الأعلى ابن خلدون من بلاد اليمن ، و كنى بأبي زيد ولقبه السلطان المملوكيبرقوق بولي الدين لما ولاه قضاء المالكية في مصر .

ب-مولده و نشأته :

ولد ابن خلدون بإفريقية في أول شهر رمضان سنة (732ه/1332م) ومازال الناس إلى هذا

اليوم يَعْرِفون الدار التي وُلِدَ فيها واسم الشارع بتربة الباي1 .

ج- العوامل التي أثرت في تكوينه العقلي والعملي:

واجهت ابن خلدون كثيرا من العقبات في حياته ولم تكن حياته حياة هادئة بل كانت مضطربة، وهذا راجع للمُغامَرات التي كان ابن خلدون يَخُوضها في حياته، فواجها عدة مصائب في حياته إلّا أنّ هذا لم يمنعه من حُصوله على المعرفة وأثار خلفه وهو نتاج العبقرية التي تُمَيِزُ ابن خلدون عن غيره من العلماء.2

3- مراحل حياته:

لقد مرت حياة ابن خلدون بمراحل يمكن تقسيمها إلى أربع:

المرحلة 1

في هذه الفترة من بداية حياته تحصل على مبادئ الدين الإسلامي من قرآن وسُنة وعُلوم شرعية.

المرحلة 2

في هذه المرحلة شغل ابن خلدون عدة وظائف إدارية و سياسية في بلاط عدة ملوك.

المرحلة 3

عكف في هذه المرحلة من عمره على التأليف و أعظم مؤلفاته على الاطلاق كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعَجَم والبربر وقد أطلق على القسم الأول من هذا الكتاب اسم المقدمة وقداستغرقفي تأليفه لهذا الكتاب وقتا طويلا المرحلة4

و في هذه المرحلة من عمره قضاها في مصر حيث تبوأ وظائف التدريس و التي أخدت قسطا كبيرا من وقته .1

- وفاته:

توفي ابن خلدون في مصر بعد عمر مديد قضاه في العلم و السياسة، و توقفت سيرة حياته سنة 808هـ .2

2- النقد عند ابن خلدون:

أ- تعريف الأدب:

تعدد تعاريف الأدب عند النُقاد العرب فأما ابن خلدون فقد عرفه« هي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم، فيجمعون لذلك من كلام العَرَبِ ما عساه تَحْصُل به الكلمة من شِعْرٍ والنّحو مبثوثة أثناء ذلك مُتفرقة يستقري منها النّاظر في

الغالب مُعظم قوانين العربية، مع ذكر المهم منَ الأنساب الشهيرة والأخبار العامّةِ»[1] فالأدب عند ابن خلدون يشتمل على الشعر والنثر واتفاقهما وِفق أساليب العرب والسؤال ما المقصود بالعرب؟ نفهم من خلال ما اطلعنا عليه في مقدمته وحديثه عن قضايا الشعر والنثر، وعن الملكة أنّ العرب المقصود بهم عَرَب الجاهلية أو على الأقل العرب الملتزمين طريقَةُ القدامى في الكلام وهم غير متأثرين بطريقة المحدثين في الكلام كأبي تمام، وهذه المعرفة التي يصطبغ بها الأدب العربي هي معرفة الثقافة العربية القديمة التي لم يتأثر بالثقافات الأجنبية وتياراتها كالفلسفة مثلا.

1-1 تعريف الشعر:

مع بداية عصر التدوين وازدهار الحركة النقدية حاول كثير من النقاد وضع تحديد أو تعريف لشعر والنثر، ولما كان الشعر هو محور أو أساس الأدب العربي، كانت هناك عِدَة محاولات لبعض النقاد في هذا المضمار فأما ابن خلدون فقد عرف الشعر أنّه«هذا الفنّ من فنون كلام العَرَبِ وهو المسمى بالشّعر عِندهم، ويوجد في سائِر اللّغات إلّا أنّنا نتكلم في الشعر الّذي للعربِ، فإن أمكن أن يجد فيه أهل الألسنِ الأخرى مقصودهم من كلامهم، وإلّا فكلّ لسان أحكام في البلاغة تخصه، وهو في لِسان العرب غريب النّزعة عزيز المنحى إذ هو كلام مفصل قِطعًا قطعًا متساويةً في الوزن متحدّة في الحرف الأخير من كل قطعةٍ. وتسمى كل قطعةٍ من هذه القطعات عندهم بيتا. ويسمّى الحرف الأخير الذي تتّفق

1-عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ص 447-448.

فيه رويًا وقافيةً، ويسمى جملة الكلامِ إلى أخيره قصيدة وكلمة . وينفرد كلّ بيت منه بإفادته في تراكيبه حتّى كأنّه كلام وحده مُستقل عما قبله وما بعده»[1].

نلاحظ على هذا التعريف أنه حدد الشعر من خلال الشكل من روي وقافية.

2-1 تعريف النثر :

***قضية اللفظ والمعنى عند ابن خلدون:**

لقد اهتم الشعراء والنقاد قديمًا بقضايا مهمة في النقد الأدبي العربي، ومن بين هذه القضايا مثلا قضية اللفظ والمعنى فنجد ابن خلدون يتحدث عن هذه القضية إذ يقول:«اعلم أنّ صناعة الكلام نظما ونثرا إنّما هي في الألفاظ لا في المعاني، وإنّما المعاني تبع لها وهي أصْل. فالصّانع الّذي يحاول ملكة الكلام في النّظم والنّثر إنّما يحاولها في الألفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب ليكثر استعماله وجريه على لسانه حتّى تستقرّ له الملكة في لسان مُضر ويتخلق من العُجْمَةِ الّتي ربى عليها في جيله، ويفرض نفسه مثل وليد ينشأ في جيل العرب ويلقّى لُغتهم كما يُلقّنُها الصّبيُّ حتى يصير كأنّه واحد منهم في لسانهم . وذلك أنّ قدّمنا أنّ للسان ملكةً من الملكات في النّطق يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتّى تحصلَ. والّذي في اللسان والنّطق إنّما هو الألفاظ»3.

1 عبد الرحمان ابن خلدون ، المقدمة ، ص 459-460.

يؤكد ابن خلدون في هذا القول أهمية اللفظ مقارنة بالمعاني فالألفاظ تختلف من شخص لآخر تبعا لدرجة التمكن من هذه الصناعة فقد ربط ابن خلدون قضية اللفظ بالملكة الكلام التي يتحصل عليها عن طريق حفظ كلام العرب والممارسة والسماع حتى ترسخ في ذهنهم ملكة فتتحول هذه الملكة إلى ألفاظ وعن طريق هذا من العجمة ويصبح واحدا منهم. فنجده أيضا يتحدث عن المعاني، ويقول:« وأمّا المعاني فهي في الضّمائر. وأيضا فالمعاني موجودةعند كل واحدٍ. وفي طوع كلّفكر منها ما يشاء ويرقى ، فلا تحتاج إلى صناعة.وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصّناعة كما قلناه. وهو بمثابة القوالب للمعاني، فكما أنّ الأواني التي يغْترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضّة والصّدف والزجاج والخزف والماء واحد في نفسه»[1]، إنّ ابن خلدون في هذا التعريف أكد أنّ المعاني موجودة في الضمائر ولا تحتاج إلى صناعةِ عكس الألفاظ التي تختلف من شخص إلى آخر كما أن المعاني ثابتة، أمّا الألفاظ فمتغيرة ومتّعددة، وقد شبّه ابن خلدون المعاني بالماء، والألفاظ بالأبنية التي يوضع فيها، فقد تكون من ذهب أو فضة أو طين فالماء واحد والآنية تتغير.

*الطبع و من بين القضايا التي تأثر بها ابن خلدون الطبعة و الصنعة.

<<تحدث ابن خلدون عن الطبعوالصنعة فعرف الكلام المطبوع يعنون به الكلام الذي كملَتْ طبيعته وسجيته من إفادة مدلوله المقصود، لأنه عبارة وخطاب، ليس المقصود منه النطق فقط. بل المتكلِّم يُقْصد به أن يفيد سامعه ما في فسره إفادة تامّة، ويدّلَّ عليه دلالة وثيقةً. ثم

[1]عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ، ص 466.

يتبعُ تراكيب الكلام في هذه السجيّة التي له بالأصالة ضروب من التحسين والتزين. بعد كمال الإفادة وكأنّما تعطيها رونق الفصاحة من تنميق الأسجاع »[1].

نلاحظ على هذا التعريف أن ابن خلدون يقر أن الكلام المطبوع هو الذي لديه معنى ويفيدُ سامعه أثناء تلقِي هذا الكلام مع جمال ورونق من غير قصد أو تُكَلّف وإلا سميت مصنوعا فالصنعة ظهرت مع المسلمين .

3/ الملكة:

لما كان الشعر والنثر فنونا قوليا، كان من المنطقي على ابن خلدون أن يتعرض إلى مسألة اللغة، وهناك يركز على اللغة العربية التي كثيرًا ما سماها بالمُضرية تميزًا عنّها –ربما–عن الحميرية وغيرها من اللغات العربية التي تخالف لغة القرآن في مبناها ومعناها.

كانت آراءه النقدية منصبة على دراسته ملكة اللغة العربية (المضَرِية) ليبني عليها أفكاره في الشعر والنثر.

أ– تعريف الملكة:

تحدث ابن خلدون عن ملكة اللغة التي يصدر منها قول الشعر والنثر إذ يقول:«اعلم أنّ اللغات كلها ملكات شبيهة بالصّناعة، إذ هي ملكات في اللّسان للعبارة عن

[1]عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ص469.

المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها»[1]، فاللغة شبيهة بالصناعة أي أنّ اللغة أمر مكتسب وليس فطري فالمتحدث بالعربية يكتسب النُطقَ بالعربية ولا يلد بها و على هذا الأساس فكل انسان يمكنه اكتساب الكلام بالعربية .

ب- قبل اللحن كيف تكتسب:

حافظ العرب على فصاحة ونقاء لُغتهم في جاهليتهم وصدر الإسلام ولكن تغير الوضع مع توسع وانتشار العرب في أصقاع العالم شرقا وغربا واستوطانهم بلاد لم يعهدوها من قبل واختلطوا بأقوام كثير في مدن عريقة في الحضارة و اكتسبوا عاداتهم وتقاليدهم، وكان لهذا الانتشار والابتعاد عن جزيرتهم القاحلة ومخالطتهم لأولئك الأقوام الأثر البارز على لسانهم العربي المبين «ثم إنّه لما فسدت هذه الملكة لمُضر بمخالطتهم للأعاجم، وسبب فسادها أنّ الناشئ من الجيل صار يسمع في العبارات عن المقاصد كيفياتٍ أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب، فيعبر بها عن مقصوده لكُثرة المخالطين للعرب من غيرهم، ويسمع كيفيات العرب أيضا، فاختلط عليه الأمر وأخذ من هذه، فاستحدث ملكة وكانت ناقصةً عن الأولى، وهذا معنى فساد اللسان العربي»[2].

فهذا الاختلاط ولد حالة لسانية جديدةً كون العرب أصبحوا جزء من مجتمع خليط نتج عن هذا التراجع في الفصاحة التي أدت في نهاية المطاف إلى اندثار واختفاء

[1] عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ، ص448.

[2] المصدر نفسه ،ص449.

اللغة العربية عن الاستغلال اليومي في التواصل بين أفراد المجتمع وهذه الحالة اللسانية لم تخفى عن ابن خلدون الذي يعدّ بحسب كثير مؤسس علم الاجتماع.

ج- كيف تكتسب الملكة في عصر الامتزاج الحضاري:

لما كانت العربية عند ابن خلدون ملكة صناعية أي قابلة للاكتساب كان بالإمكان عليه الحصول على هذه الملكة بطريقة مُغايرة لما كان عليه الحال في عصر الجاهلية عصر الإسلام إذ كان اكتسابها أمرا عفويا فإنّ الحال في العصر الذي نسميه عصر الامتزاج الحضاري بين الشعوب يختلف تماما نظرا لاختفاء الحاضنة الطبيعية لتعلم العربية وهي السماع والممارسة في الحياة اليومية «ووَجْهُ التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلّف ومُخاطبات فحول العرب في سائر فنونهم، حتّى يتنزّل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقنّ العبارة عن المقاصد منهم»[1]. فاختلاف الظّروف أدّت إلى تغيير طريقة إكتساب هذه الملكة هذه الطريقة أكثر صناعةً وتعقيدًا عَن المرحلة الجاهلية مثلا فيقول ابن خلدون:« ثم يتصرّف بعد ذلك في التّعبير عمّا في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلماتهم وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم، فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ويزداد بكثر تِهِما رسوخا وقوة»[2]، أكد ابن خلدون في هذا

[1] عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ص452.

[2] المصدر نفسه، ص452-453..

القول أنّ اللغات تتغيّر مع الزمن بالاختلاط العرب بالأعاجم فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال اليومي للغتهم وتزداد ملكتهم قوة ورسوخا من كثرة الاستعمال والحفظ للغة العربية.

ولكنه أضاف شرطا آخر حيث يقول:« ويحتاج مع ذلك إلى سلامة الطّبع والتّفهم الحسن لمنازع العرب وأساليبهم في التراكيب ومراعّاة التطبيق بينها وبين مقتضيات الأحوال، والذّوق يشهد بذلك وهو ينشأ ما بين هذه الملكة والطّبع السليم فيهما»[1].

فالحفظ يحتاج إلى قابلية في الإنسان لإدراك دعائم اللغة العربية، فقد ربط ابن خلدون في هذا القول الملكة بالذوق، فالذوق أيضا هو حصول ملكة البلاغة للسان بمخالطة كلام العرب وممارسته فكأنه يذوق الكلام ويميزه كما يميز اللسان أنواع الأطعمة فالملكة ترتبط بالذوق.

3/ الذوق وعلاقاته بالبلاغة:

أ/ تعريف الذوق:

تحدث ابن خلدون عن الذوق إذ يقول في سياق حديثه عن الملكة:« واستٌعير لهذه الملكة عندما ترسخ وتستقر اسم الذوق الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان، وإنما هو موضوع لإدراك الطّعوم لكن لما كان محلّ هذه الملكة في اللّسان من حيث النّطق

[1] عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ، ص 453.

بالكلام كما هو محل لإدراك الطُّعُومِ استعير له اسمه. وأيضا فهو وجدانيّ اللّسان كما أن الطعوم محسوسة له، فقيل له ذوق»[1]، إنّ الذوق عند ابن خلدون هو حصول ملكة البلاغة للسان بمخالطة كلام العرب وممارسته، لا بمعرفة قوانينه وقواعده وهذه الملكة تهدي البليغ إلى وجود النظم وحسن تركيب الموافق لتركيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم، فكأنّه يذوق الكلام ويميّزه كما يميز اللسان أنواع الأطعمة، كما تبين لنا من خلال هذا التعريف عدّة مصطلحات، فالذوق وهو مرادف للحالة التي تستقر فيه الملكة لدى الإنسان وتتمكن فيها، فكأنّها عضو نشأ ثم استوى حتى بلغ درجة معينة من التمكن لا يمكن عزله عن طبيعة الإنسان، هذا الذوق اصطلح له اسم آخر وهو البيان، إذن فالبيان والذوق وجهان لعملة واحدة.

فالبيان أو الذوق هو المرجعية لمعرفة تطابق الكلام مع طريقة العرب في الكلام، كما وافق الذوق فتتقبله النفس وتأنس به أما غير ذلك فتنفر منه.

ب- الذوق وعلاقاته بالبلاغة:

تحدث ابن خلدون عن البلاغة وربطها بالذوق، فعرف البلاغة بقوله :«اعلم أنّ لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون

[1] عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ص455.

البيان ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان. وقد مر تفسير البلاغة وأنّها مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواصَّ تقع لتراكيب في إفادة ذلك المتكلم بلسان عربي بليغ فيه يتحرى الهيئة المفيدةَ بذلك على أساليب العرب وأنحاء مخاطبتهم وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده، فإذا اتصلتْ مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم كلام العرب على ذلك الوجه سَهُلَ عليه أمر التركيب حتى لا يكاد ينحُوا فيه غير منحى البلاغة التي للعرب»[1].

إنّ البلاغة عند ابن خلدون ترتبط بالذوق فالذوق هو أمر موجود في نفس الإنسان لا تظهر فعاليته إلّا باحتكاكه مع ما يسمعه من كلام، فالبلاغة هو حُكْمُ يصدره الذوق حينما يسمع أو يتفاعل مع ما يصدر من كلام.

ج- الذوق ملكة مستندة إلى معرفة غير معللة:

إنّ الملكة عندما ترسخ وتستقر في ذهن الإنسان نسميها ذوق، ولكن الذوق يمكن أن يتحول إلى ملكة مستندة إلى معرفة غير معللة وهذا راجع إلى سماعه ألفاظا أخرى غير التي اعتادَ سماعها عند العرب فنجد ابن خلدون يعبر عن هذا في قوله: « وإن سمع تركيبا غير جار على ذلك المنحى مجَّهُ ونبا عنه سمعه بأدنى فكّر بل وبغير فكر، إلّا بما

[1] عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ص454.

استفاد من حصول هذه الملكة، فإنّ الملكات إذا استقرّت ورسخت في مكانها ظهرت كأنّها طبيعة وجِبِلة بذلك المحلّ»[1].

فالذوق عند ابن خلدون مرتبط بمعرفة غير معللة، فالإنسان أثناء سماعه ألفاظًا غير الألفاظ التي اعتاد سماعها لدى العرب فلن يتقبلها تفكيره وعقله فيّهجها مباشرة ولن يستحمل سماعها لأن تفكيره وعقله يرفضها مباشرة، هكذا فقط من دون تعليل ولو سألته عن السبب فلن يجيبك فيقول هكذا فقط من دون سبب، ولن يستطيع أن يشرح لك ولا يجدُ تعليلا لهذا الموقف.

4/البلاغة عند ابن خلدون:

أ/ البلاغة غير مرتبطة بالإعراب:

لقد تحدث ابن خلدون عن البلاغة وقال أنّها غير مرتبطة بالإعراب، فقال:« وإلّا فالإعراب لا مدخل له في البلاغة، إنّما البلاغة مطابقة الكلام المقصود وبمقتضى الحال من الوجود فيه سواء كان الرفع دالا على الفاعل، والنّصب دالا على المفعول بالعكس وإنّما يدل على ذلك قرائن الكلام كما هو في لغتهم هذه، فالدّلالة بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة، فإذا عرف اصطلح في ملكة واشتهر في صحّة الدّلالة. وإذا طابقت تلك الدلالة المقصود

[1] عبد الرحمانبن خلدون، المقدمة، ص454.

ومقتضى الحال صحّت البلاغة ولا عبرة بقوانين النّحاة في ذلك»[1]، في هذه الفقرة يقرر ابن خلدون أمرا مهما وهو عدم ارتباط البلاغة بالإعراب، وهذا القول يجب أن نضعه في سياقه التاريخي فهو تحدث عن هذا المبدأ حينما تطرق إلى اضمحلال الفصاحة وظهور شعر غير فصيح، أو لنقل شعر عامي، فالبلاغة غير مقترنة عنده بالفصاحة، فكل كلام هو كلام بليغ ما دام المقصود يطابق مقتضى الحال، فهو بذلك لا يقصي شاعريةالشاعر العامي.

[1] عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ص473.

خاتمة

الخاتمة

لقد توصلنا إلى عدة نقاط مهمة و ذلك إن التفكير النقدي عند ابن خلدون يتضمن قضايا لغوية و أدبية :

1_ قسم ابن خلدون الأدب إلى نثر و شعر.

2_ الأدب عند ابن خلدون هو حفظ أشعار العرب و أخبارهم كلامهم.

3_ أما اللغة عند ابن خلدون هي ملكة صناعية و ليست فطرية بل تكتسب عن طريق السماع و الممارسة أي بالتعبير.

4_ بالإضافة إلى أن اللغة يمكن فسادها و تغيرها عند اختلاط العرب بالأعاجم و سماع كلامهم و تعودهم على لغتهم.

5_ إن الذوق عند إبن خلدون هو حصول ملكة بلاغة اللسان بمخالطة كلام العرب و ممارسته و هذا ليس بمعرفة قوانينه و قواعده.

6_ إن ابن خلدون فضل الألفاظ على المعاني و يعطي أهمية كبيرة للألفاظ ، فصناعة الكلام في الألفاظ لا في المعاني ،فالمعاني موجودة في الضمائر و لا تحتاج إلى صناعة . أما الألفاظ فتختلف من شخص لآخر.

7_ عرف إبن خلدون الطبعة و أقر أن الكلام المطبوع هو الكلام الذي كملت طبيعته و سجيته من إفادة مدلوله المقصود به مع جمال هذا الكلام و رونقه.

8_التقاء حركتي نقد الشعر و نقد النثر و تلاحقهما في التراث العربي القديم.

9_إبراز دور البلاغة التي تعتبر جزءا أساسيا ، و طرفا فعالا في العملية الإبداعية في الشعر و النثر.

10_اختلاف آراء النقاد في المفاضلة بين المطبوع و المصنوع ، و قضية اللفظ و المعنى.

و في الأخير نرجو أن يتسم بحثنا بالنزاهة و الموضوعية و أن يكون نماء لأعمال أخرى أكثر دقة و منهجية و وضوحا راجينا أن يكون بحثنا قد وصل إلى المستوى العلمي الذي يتمناه كل طالب باحث مبتدئ إلى اكتساب المعرفة .

قائمة المصادر و المراجع :

1_ الأدب العربي و تاريخه في العصر الجاهلي،محمد هاشم عطية.

2_ أحكام صنعة الكلام ، أبو القاسم الاشبيلي .

3_ البلاغة العربية بين نشأتها و تطورها ، أحمد محمود المصري .

4_ البرهان في وجوه البيان ، ابن وهب الكاتب .

5_ جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع ، السيد أحمد الهاشمي .

6_ حول مفهوم النثر الفني عند العرب القدامى ، البشير المجذوب .

7_ الحيوان ، أبو عثمان عمر بن بحر .

8_ اللفظ والمعنى في التفكير النقدي و البلاغي عند العرب ، الأخضر الجمعي .

9_ الموجز في الأدب العربي و تاريخه ،حنا الفاخوري .

10_ الممتع في صنعة الشعر ، عبد الكريم النهشلي .

11_ منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، حازم القرطاجني .

12_ منهج النقد الأدبي عند العرب ، حميد آدم ثويني .

13_ مفتاح العلوم ، محمد السكاكي .

14_ المقدمة ، إبن خلدون .

15_ المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، ضياء الدين بن الأثير .

16_ نظرية النظم ، حاتم الضامن .

17_ ديوان عبيد الأبرص ، عبيد الأبرص .

18_ الفنون البلاغية بين القرآن و كلام العرب ، فتحي عبد القادر فريد .

19_ القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب .

20_ الشعر و الشعراء ، ابن قتيبة الدينوري.

21_ تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري ، محمد زغلول سلام .

22_ تاريخ النقد الأدبي عند العرب {من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري} ، طه أحمد إبراهيم .

23_ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، الرماني و الخطابي و عبد القاهر الجرجاني .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات.....

_ المقدمة.....ص2

الفصل الأول:التفكير النقدي قبل ابن خلدون.

_ الآراء النقدية في عصر ما قبل التدوين.

_ العرب في العصر الجاهلي..... ص5

_ أصل العرب.....ص6

_ أقسام العرب.....ص6

_ العامل الجغرافي.....ص8

_ الأسواق.....ص9

_ الصراع السياسي عند العرب في العصر الجاهلي.....ص9

_ منزلة القبيلة في العصر الجاهلي.....ص10

_ العصر الإسلامي.....ص13

_ اللغة العربية بعد نزول القرآن الكريم.....ص13

_ أثر الفتوح و الإختلاط.....ص15

_ الشعر في العصر الإسلامي.....ص15

_ الشعر في عهد النبوة.....ص16

_ خصائص الشعر الإسلامي.....ص18

_ الشعر في عهد الخلفاء الراشدين.....ص18

_ الآراء النقدية في عصر التدوين.

_ الشعر.....ص20

_ أغراض الشعر الجاهلي.....ص21

_ خصائص الشعر الجاهلي.....ص22

_ مكانة الشعر الجاهلي عند النقاد و منزلة الشاعر.....ص27

_ النثر.....ص27

_ الطبع و الصنعة في النقد العربي القديم.....ص30

_ قضية اللفظ و المعنى في النقد العربي القديم.....ص37

_ البلاغة العربية في النقد العربي القديم.....ص43

الفصل الثاني :التفكير النقدي عند ابن خلدون.

_حياته و عصره.....ص48

_ اسمه و كنيته.....ص48

_ مولده و نشأته.....ص49

_ العوامل التي أثرت في تكوينه العقلي و العملي.....ص49

_ مراحل حياته.....ص49

_وفاته.....ص50

_النقد عند ابن خلدون.....ص51

_ تعريف الأدب.....ص51

_ تعريف الشعر.....ص51

_ قضية اللفظ و المعنى عند ابن خلدون.....ص53

_ الطبعة و الصنعة.....ص54

_ الملكة.....ص55

_ تعريف الملكة.....ص55

_ الملكة قبل اللحن و كيف تكتسب.....ص56

_ كيف تكتسب الملكة في عصر الامتزاج الحضاري.....ص56

_ تعريف الذوق.....ص58

_ الذوق و علاقته بالبلاغة.....ص59

_ الذوق ملكة مستندة إلى معرفة غير معللة.....ص60

_ البلاغة غير مرتبطة بالإعراب.....ص61

_ تفضيل ابن خلدون لشعر الإسلاميين.....ص62

_ إقصاءه لبعض كبار الشعراء العباسيين.....ص63

_ الخاتمة.....ص68

_ قائمة المصادر و المراجع.....ص70

_ فهرس الموضوعات.....ص72

تنميؤان

منتتا

ينؤتتؤءنا

ينتؤينتا

يؤنتتؤا

يؤنتينت

ينمميؤات

نؤ

ينؤنتميا

نمؤتنيتا

نؤنا

نيتتا

ينتؤاتنيا

ينتؤاتعا

نياتيعايحخؤبهع

ينؤتيؤعلا

يمتيتا

نيتتيا

يؤتنه

جحطيطحيخ

كينتمهيت

يكمنيكخت

يرننؤبت

يبمنتيبنخ

ينيؤبت

يكنحمؤبيؤبت

يمبنميؤبت

كيتمينتؤبتيتا

نميتنتيؤا

عيانتيؤا

نؤتنت

ملخص :

إن موضوع الأدب العربي القديم ظل موطنا خصبا للدراسات النقدية ، فقد مر به الكثير من الدارسين نظرا لامتداده التاريخي و لأهميته العظمى .

لقد تطرق ابن خلدون في بحثه هذا إلى دراسة مباحث في اللغة و الأدب، و من أهم هذه القضايا حديثه عن الشعر و النثر .

تحدث أيضا عن اللغة و أقر أن اللغة ملكة صناعية يمكن أن يحدث لها تغيير لغوي و احتكاك لغوي ،هذا يحدث عند اختلاط العرب ، بالإضافة إلى أن الذوق لا يحدث إلا بمخالطة العرب و تكرار كلامهم أي بالتعليم.

أكد في الأخير أهمية الألفاظ مقارنة عن المعاني .

الكلمات المفتاحية :

_دراسات النقد الأدبي .

_البلاغة و الإبداع .

_الطبع و الموهبة .